الموضوع الثاني
أطر ودعائم النظام الإسلامي في العلاقات الدولية الاقتصادية

إن المنهج الإسلامي عمل على أن يكون هناك أطر في العلاقات الدولية، تكون عامة وشاملة لكل الجوانب التي يحتاجها الإنسان في مناحي الحياة؛ لضمان حقوقه الكاملة بكرامة وعدل وأمان، والنظام الإسلامي يتمسك بدعائم كثيرة لإقرار حقوق الإنسان العامة، وحقوقه الاقتصادية خاصة على النحو الآتي:

أولاً: أطر النظام الإسلامي في العلاقات الدولية

الدعوة والاتصال:

إن العلاقات المتبادلة بين الشعوب والجماعات المستقلة والمتميزة في مواجهة بعضها البعض منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا، نجدها لا تعدو من حيث طبيعتها وأشكالها إلا أن تكون واحدة من أربع، علاقات سلمية يسودها التنافس والتبادل أو التنسيق والتعاون، أو الاتحاد والتكامل، وإما أن تكون علاقات عدائية يغلب عليها الصراع والتوتر أو الحروب والمشاحنات، وإما أنها علاقات عوان بين السلم والعداوة فيما يُعرف بالحياد أو العزلة، فإذا كان هذا كله، فإن التساؤل يكون بشأن تحديد موقع السلم من الأساس الذي تبنى عليه علاقات الدولة الإسلامية في المجال الخارجي، وما هي المكانة الحقيقية للسلم في نطاق المبادئ الحاكمة لهذه العلاقات والموجهة لمسارات حركتها وتطورها.

إن السلام هو اسم من أسماء الله الحسنى، يدعو المسلمون به ربهم، السلم والسلام هما أساسا، وأصل العلاقات الخارجية والدولية في الشريعة الإسلامية، و إن كانت مع دول تدين بغير دين الإسلام؛ لأنه لا إكراه في الدين، طالما كانت العلاقات سلمية وتنافسية وفي الإطار السلمي للشريعة الإسلامية.

قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٦].

ذلك باعتبار أن الدعوة مناط العلاقات الخارجية والدولية للدولة الإسلامية بأدلة تأصيلية في القرآن الكريم(١).

نجدها في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[المائدة:٦٧].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:١٠٨].

إن توافق دعوة الدين الإسلامي مع الفطرة الإنسانية وميلها للاجتماع بسلام لا يقبل أن يفضي إلى تخاصم وقطيعة بين الناس، أو بين من يقيمون أطرًا نظامية كالدول، وإنما ينشد من الاجتماع وصوره التقارب والتعارف والسلام(٢).

لقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»(٣).

إن دعوة الإسلام بالسلام في العلاقات الدولية ما هي إلا دعوة حضارية كلية كاملة عالمية تحاول تجميع كل العناصر المكونة لعلاقات السلام بين الأمم والدول وتقاوم كل علاقات اللامعنى والعبثية والطغيان، وكل هذا يصب في مصلحة الإنسان في الحفاظ على حقوقه الإنسانية الكاملة التي تتوافق مع وظيفته في استخلاف وإعمار الأرض(٤).

---

(١) د. ودودة بدران: دراسة العلاقات الدولية في الأدبيات الغربية ومشروع العلاقات الدولية في الإسلام، أعمال ندوة مناقشة العلاقات الدولية في الإسلام، الجزء الأول، سنة ٢٠٠٠، القاهرة، ص ١١٧.

(٢) د. مصطفى منجود: الدولة وحدة التعامل الخارجي في الإسلام، مرجع سابق، ص ٣٣٠.

(٣) مسلم: صحيح مسلم، مرجع سابق، رقم٢٦٧٤. والحديث رواه أبو هريرة.

(٤) د. سيف الدين عبد الفتاح: مدخل القيم إطار مرجعي للعلاقات الدولية في الإسلام، أعمال ندوة مناقشة مشروع العلاقات الدولية في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٩٦: ص١٩٨.

٢- عموم الإسلام للعلاقات الدولية:

الإسلام دين عام وهو لجميع الناس كافة على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأنه صالح لكل زمان ومكان، وليس لفئة من الناس دون الأخرى، لا لجنس من أجناس البشرية، أو لشعب من الشعوب دون الآخر، ولا يختص لزمن دون زمن آخر، أو لرقعة من الأرض دون أخرى، فكل نبي بُعث لقومه خاصة إلا محمد ﷺ بُعث للناس عامة وكافة.

نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم:٤٧].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[الأعراف:٥٩].

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:٦٥]

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الأعراف:٧٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[الأعراف:٨٥] ثم يقول تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[الأعراف:١٠٣].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة:٧٢].

الإسلام آخر الرسالات، سيدنا محمد ﷺ آخر الأنبياء:

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨].

فلهذا كانت رسالة سيدنا محمد ﷺ هي آخر الرسالات وكان عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء والمرسلين ورسالته خاتمة الرسالات السماوية للعالم كله.

نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[الأحزاب:٤٠].

ولا تغيير ولا تبديل للشريعة الإسلامية ولا لأحكامها ولا لدستورها؛ لأن رسالة محمد ﷺ جاءت بالشريعة كاملة وشاملة لعامة أهل الأرض قاطبة جميعاً[1].

ورسالة الإسلام جاءت صادقة لأنها من عند الله تعالى وكاملة بقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[المائدة:٣].

وتامة بقوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام:١١٥]

إن القرآن الكريم بما فيه من عقائد وعبادات وتشريع وأحكام مدنية وتنظيم أحوال الأفراد والأسرة والمجتمع وبيان العلاقات الدولية بين الأمم وبعضها ودعوة إلى الأخلاق يشكل نظاماً قانونيًّا شاملاً يضمن سعادة الفرد والمجتمع والإنسانية.

٣- شمول الإسلام للعلاقات الدولية:

إن الدين الإسلامي تمتد آفاقه إلى جميع النظم التي تستند إليها المجتمعات

(١) د. محمد الصادق عفيفي: الإسلام والعلاقات الدولية، مرجع سابق، ص ٢٩.

الصحيحة، تقوم على أسسها الحياة الإنسانية الكاملة مما ينظم شئون الأفراد والمجتمع والأمة؛ وذلك لحاجة الإنسان إلى نظم في شئون الحكم والاقتصاد والاجتماع والسلم والحرب وحاجته لقوانين تنظم أمور البيع والشراء، والعقود وقيام الأسرة وأيضا لتوزيع الثروات، مهما بلغ فكر العلماء من درجة الارتقاء العلمي والتكنولوجي في إحلال أو تعديل أو إضافة قوانين أو نظم لأية دولة من الدول ستعطينا بالدليل المادي عدم الشمول وعدم العمق في وفاء هذه النظم بإشباع حاجة الإنسان، أما رسالة الإسلام فقد عنيت وشملت كل رغبات الإنسان بالحق والعدل والمساواة بما يكفل سعادة الإنسان في السلم والحرب[1].

والمسلم في نظر الإسلام ذو تكليف ومسئولية وصاحب رسالة والإسلام يلزمه أن يكون مع أخيه قوة متماسكة تتمخض عنها أمة الدعوة[2].

يقول تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة:٧١].

فالدولة في التشريع الإسلامي هي نتاج الاجتماع الإنساني مادام منوطا به تنظيم هذا الاجتماع على نحو يكفل الاستقرار والأمن، ولكي تقوم الدولة بواجباتها كان لابد لها من الانخراط في علاقات مع الأمم والدول الأخرى؛ لأن ذلك من طبائع العمران، ولا يتأتى هذا إلا في وجود قواعد نظامية تحددها الدولة في حركاتها واستمرار علاقاتها بالدول الأخرى فيما تأخذه وتعطيه، فالإسلام لا يريد للدولة أن تكون مجرد مخزن لإشباع حاجات مادية وغير مادية داخليًا، لكن يريدها أن تؤدي رسالتها من الأمانات إلى أهلها وتصريفها بالعدل وتبليغ الدعوة إلى غيرها من الأمم

(١) د. محمد الصادق عفيفي: مرجع سابق، ص ٣٠.
(٢) د. مصطفى منجود: مرجع سابق، ص ٣٣١.

والدول لتكون الإنسانية كلها على قدم المساواة والعودة إلى الأصل في الخلقة والنشأة ووحدة الطريق[1].

ثانياً: دعائم العلاقات الدولية الاقتصادية في الإسلام

إن النظام الإسلامي يتمسك بدعائم كثيرة لإقرار حقوق الإنسان عامة، وحقوقه الاقتصادية خاصة، ونجد هذا على النحو الآتي:

١- إقرار المساواة ونبذ التعصب في العلاقات الدولية الاقتصادية:

أقر الإسلام المساواة وحارب العصبية الوطنية أو الإقليمية والقومية، فكل إقليم أو دولة تريد أن تسيطر على إقليم آخر أو دولة أخرى، أو تتباهى وتفتخر بأن لها المكانة الأولى، وأنها فوق الجميع، فهذا نتيجة حروب خاضتها بدماء سفكتها لتحتل دولة أو إقليم لا حول له ولا قوة، وما كان ذلك إلا لتغلب رئيس دولة بينه وبين مثيله عداوة أو عصبية وطنية، ولم يكن من الآخر سوى الثأر لنفسه دون أن يبالي بما يحدث لدولته وشعبه جراء فعلته، أو يفطن لنتائج تصرفه؛ لذلك حض الإسلام على أن تسود المودة والعدل والمساواة على المستوى العام والاقتصادي بين الناس[2].

لقد قال رسول الله ﷺ: **«لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ»**[3].

فالإسلام لا يحض على التعصب المؤدي إلى الظلم المؤدي لخراب العمران، بأن ينصر إنسان قومه على الظلم بتعصب قوميته، أو أن تؤسس دول علاقاتها الدولية على ظلم آخرياتها بعدم تحريها العدل والمساواة في العلاقات الاقتصادية، مما يترتب عليه ظلم دولة أخرى، فيجب على كل دولة أن تؤسس علاقاتها الدولية الاقتصادية على المودة، والعدل الاقتصادي والمساواة، ويجب على قادة وزعماء الدول أن يتحروا المودة والعدل الاقتصادي في علاقاتهم الداخلية داخل مجتمعاتهم، وعلاقاتهم الدولية

(١) د. مصطفى منجود: الدولة ووحدة العلاقات الخارجية في الإسلام، مرجع سابق، ص ص٣٣٠: ٣٣٥.
(٢) محمد أبو زهرة: العلاقات الدولية في الإسلام، ص٢٤.
(٣) السيوطي: الجامع الصغير، مرجع سابق، رقم ٧٦٨٤. رواه جبير بن مطعم.

الاقتصادية خارجها؛ وذلك بأن يكون هناك نوع من المودة والتآخي والعدل بين الدول وجيرانها.

كما يجب أن تكون هناك سياسة الأبواب المفتوحة مع الدول والاعتراف بالتعددية الثقافية والعقائدية والسياسية وإنكار القسر والإكراه، والمنهج الإسلامي تميز بالمرونة في تنظيم علاقة المسلمين مع الآخرين خاصة في العلاقات الاقتصادية الدولية بأن يعرف كل أهل إقليم ما عند الإقليم الآخر، من خير يفيض عن حاجاتهم، كما يلتقي المسلمون في حرم خالقهم الآمن وفي ذلك أنس روحي وأدبي وتعاون اقتصادي ومادي في سبيل التعاون والتعارف والتواد والتراحم، بلا منافسة ولا منازعة، ففيه زاد اقتصادي ومادي مقترن بالتقوى والعمل الصالح[1].

٢- الكرامة الإنسانية :

إن الكرامة الإنسانية يؤيدها القرآن والسنة النبوية لكل من يتحقق فيه معنى الإنسانية، وأول تكريم للإنسان كان بهبة العقل، ولا تفاضل بين الناس بالألوان، فالأبيض والأسود والأصفر سواء لا فرق بينهما إلا بالتقوى، فالإنسان خليفة الله في هذه الأرض، كل ما في الكون سخره خالقه تحت سيطرته، وهذا يدل على أن كرامة الإنسان ملازمة له منذ خُلق؛ لذلك جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تدلل على ذلك[2]. كما أن الكرامة الإنسانية تلازم الإنسان فإنها تلازم الشعوب والدول التي تجمع الناس المشتركين في الإنسانية، لما كان للإنسان الكائن في داخل جماعة أو دولة الحق في المحافظة على كرامته الإنسانية، فللدولة المكونة للعالم، المشاركة في الإنسانية الحق في المحافظة على كرامتها الإنسانية، بمعنى أن لكل دولة الحق في المحافظة على كرامتها الإنسانية داخل المجتمع الدولي، مثلها مثل الإنسان الذي يحافظ على كرامته الإنسانية داخل دولته ومجتمعه.

---

(١) محمد أبو زهرة: المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، الدار السعودية للنشر، الطبعة الثانية، سنة ١٩٨١، ص ١٣٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢١.

والإسلام يعترف بالإنسان، ومن ثم يعترف بالدول، والعلاقات الدولية بين مجموعة الدول تقوم على أساس من الاعتراف بالدولة، والاحترام المتبادل، ولكل دولة حق المساواة مع الدول الأخرى، ولها سيادة أو سلطة عليا على أراضيها وشعبها، كما للإنسان الحق في المساواة، والحق في الكرامة الإنسانية يكون ذلك الاعتراف بحق الدول في استقلال كل دولة على حدة، بكرامة إنسانية، بيد أن ذلك لا يسمح لأية دولة بالتدخل في شؤون دولة أخرى، ويكون الاستعمار البغيض مرفوضاً جملة وتفصيلاً، ولابد من احترام مقتضيات السلم والأمن الدوليين، وهذه نظرة حضارية رفيعة، وإنسانية رشيدة، ولها أهميتها الملموسة من أجل رقي واستقرار الشعوب والأمم، وتمكين كل دولة من حل مشكلاتها وقضاياها بنفسها.

وتهيئة هذا المناخ السلمي والأمني، يجعل العلاقات الدولية الخارجية قائمة على أساس من التعاون والتضامن والتكافل، والكرامة الإنسانية مصونة في الإسلام، سواء في داخل الدولة أو خارجها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[الإسراء: ٧٠].

٣- التعاون الاقتصادي:

التعاون كلمة جامعة تجمع الخير كله، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالتعاون على البر والتقوى ونهاهم عن التعاون على الإثم والعدوان.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[المائدة: ٢].

والرسول عليه الصلاة والسلام كان يعقد المعاهدات مع القبائل العربية لإيجاد تعاون إنساني واقتصادي لإعلاء المعاني الإنسانية، وكان يحث على الخير ويؤيده ويرد كل تعاون على الشر ويحاربه، وكان يُعلن أن المولى سبحانه وتعالى يمد كل إنسان

يساعد آخاه بالقوة في كل دولة، وفي أي إقليم لتعم الأخوة الإنسانية ولا يقتصر على الأخوة الإقليمية أو الدينية؛ لذلك كان التعاون مطلوب في كل صوره وأشكاله، و فيه تختفي كل صور النزاع والشقاق والعداوة، وتقل صور التناحر بين الدول، والذي فيه إثبات للتصور الجاهلي والقبلي، وأن البقاء للأقوى أو للأصلح[1]. فالقوة هنا لا تعني القوة بمعناها المطلق، فهي لا تعني حرب أو سلاح أو عنف، بل تعني القوة التي تعينه على رد أعدائه، فقد تكون قوة اقتصادية تعينه على الوقوف اقتصاديًا من جديد بعد ضعف، أو قوة اقتصادية تعينه على مجاراة المجتمع الاقتصادي الذي حوله، أو تعين شعبه وجماعته على أن تكون وحدة كاملة متكاملة اقتصاديًا تجعله لا يحتاج الخنوع أو الخضوع لأهواء أحد يتحكم فيه اقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا تحت مسمى أنه يرعاه أو يقف بجانبه.

لقد قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»[2]. غيرَ أن حديثَ أبي أسامة ليس فيه ذكرُ التيسيرِ على المعسرِ.

إن أصول التعاون الدولي بين المسلمين وغيرهم في خارج العالم الإسلامي هي المبادئ الدولية المعروفة، وهي الحفاظ على السلام العالمي، والوفاء بالعهد والميثاق، واحترام كرامة الإنسان والحفاظ على حقوقه العامة وحقوقه الاقتصادية، والتعاون الإنساني في ضوء عالمية الإسلام وإنسانيته، يشكلان قاعدة انطلاق أساسية في التعامل مع المنظمات العالمية والدولية.

---

(١) **محمد أبو زهرة**: العلاقات الدولية في الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٢) **مسلم**: صحيح مسلم، مرجع سابق، رقم٢٦٩٩. رواه أبو هريرة.